

النشاط الرعوي ومربو المواشي النازحون بمنطقة وادليلي مقارنة سوسولوجية لواقع واكراهات المجال الجديد

Exploring Pastoral Dynamics and Displaced Livestock Breeders in the Ouedleli Area: A Sociological Examination of the Current Realities and Challenges

مديوني عبدالقادر*	مراد مولاي الحاج
مخبر التطور، الحضارة والسياسة مثل وهران، جامعة وهران2 (الجزائر)	مخبر التطور، الحضارة والسياسة مثل وهران، جامعة وهران2 (الجزائر)
mediouni.abdelkader@univ-oran2.dz	moulaihadjm@gmail.com

ملخص:	معلومات المقال
تاريخ الارسال: 2023/03/01 تاريخ القبول: 2023/07/26 نحاول في هذا المقال التطرق إلى تداعيات العشرية السوداء على مسار النشاط الرعوي بمنطقة واد ليلي بولاية تيارت، وتتناول بشكل محدد فئة مربو المواشي النازحين أثناء الأزمة الأمنية، وهم فئة كانت تمارس الزراعة والرعي قبل العشرية السوداء، واضطرت بسبب الأوضاع الأمنية إلى مغادرة مناطقها، ونزحت نحو المناطق الآمنة واستقرت بها، هذا المجال الجديد الذي سيفرض عليها تحديات جديدة، فكيف ستتعامل هذه الفئة من النازحين المربين مع هذا المجال الجديد؟	الكلمات المفتاحية: ✓ النزوح الريفي ✓ النشاط الرعوي ✓ العشرية السوداء ✓ مربو المواشي ✓ الهجرة الاضطرارية
Abstract :	Article info
The "Black Decade" significantly impacted pastoral activity in Tialet's Oued Lili region, particularly affecting livestock breeders who faced displacement during the security crisis. Formerly engaged in agriculture and grazing, these individuals were forced to migrate due to adverse conditions. Addressing the challenges of this forced migration involves a strategic and holistic approach, including understanding the unique needs of the affected community, providing tailored support through training and resource access, fostering collaboration with stakeholders, and promoting economic diversification for long-term resilience. This comprehensive strategy aims to revitalize pastoral activity, empower affected individuals, and build a sustainable future in the Oued Lili region.	Received :01/03/2023 Accepted :26/07/2023 Keywords: ✓ Rural displacement, ✓ pastoral activity ✓ black decade ✓ livestock breeders ✓ forced migration

❖ **مقدمة:** عرفت الجزائر حسب بوعنان و خلافة (2022) بما يعرف العشرية السوداء، وهي "الأزمة السياسية والأمنية التي عصفت بالبلاد وأدخلتها في دوامة العنف والإرهاب طيلة عشرية كاملة (1992-2002)" ، و أشار تومي (2018) إلى أنّ هذه العشرية التي أحدثت تحولات عميقة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي في البلاد، ولا توجد منطقة من الوطن لم تتأثر بهذه الأزمة الأمنية، وقد تختلف تداعياتها من مكان إلى آخر، "وفي هذا السياق غادرت عشرات آلاف سكان الأرياف والقرى والجبال وحتى المدن الصغيرة النائية مواطنهم الأصلية متجهين نحو المدن والمناطق التي يتوفر بها الأمن والأمان، لدرجة أن عددا كبيرا من البلديات والمناطق الريفية والجبلية أصبحت خاوية على عروشها".

و أكد تومي (2018) أنّ في تلك المرحلة عرفت الجزائر نزوحا واسعا بسبب الأوضاع الأمنية خاصة من المناطق غير الامنة، "لقد شهدت مرحلة التسعينيات أو عشرية "المأساة الوطنية" نموا حضريا هائلا، حيث استقبلت المدن خلال الفترة (1987- 1998) حتما سكانيا ناهز 5.544 مليون نسمة أكثريتهم من المهاجرين النازحين من المناطق الريفية والجبلية والمناطق غير الآمنة ، أي ما نسبته، 32.46 % وبمتوسط سنوي بلغ 504 ألف نسمة . بالمقابل لم يزد سكان الأرياف إلا بحجم كلي وصل الى 518 ألف نسمة وبمتوسط سنوي بلغ 47 ألف نسمة ، أي أن سكان الأرياف شهدوا زيادة بنسبة تقدر بحوالي % 4.45 خلال إحدى عشر عاما وهو ما يؤكد - وبقوة - شدة وحدة حركة نزوح السكان نحو المدن وخاصة الكبرى منها خلال هذه المرحلة بحثا عن الأمن والأمان وملأذا للنجاة من همجية الإرهاب وسائر الضغوطات والأخطار التي تهدد حياتهم".

و في هذا الإطار أشار خماس و عطية (2017) إلى أنّ دائرة تعد واد ليلي التابعة لولاية تيارت من المناطق التي تضررت جراء هذه الأزمة، والتي عرفت على إثرها نزوحاً سكانياً واسعاً، الذي يندرج في إطار الهجرة الاضطرارية، فترجع الهجرة إلى أسباب أمنية، ومست بشكل أكبر المناطق الريفية لافتقادها للأمن، و"يعرف النزوح بكونه احد أنواع الهجرة والتي تسمى ب (الهجرة الاضطرارية) ونقصد بها نقل أفراد أو جماعات من أماكن مناطقهم الأصلية إلى أماكن أخرى بديلة وتتم في اغلب الأحيان من خلال إجبار السلطات لبعض الأفراد والجماعات على النزوح من منطقة معينة وإخلائهم من هذه المنطقة خشية تعرض حياتهم للخطر نتيجة الظروف الطبيعية والمتمثلة بكوارث الزلزال أو الفيضانات أو الحرب

أو ما إلى ذلك". هذا النزوح الريفي كان له تأثير كبير على الإنتاج الرعوي باعتباره من النشاطات الرئيسية بالمنطقة إلى جانب الزراعة، فقد تراجعت تربية المواشي التي كانت تعرف رواجاً واسعاً بسبب تدهور الأوضاع الأمنية، فلم يعد بوسع مربّي المواشي البقاء في مناطقهم السابقة خاصة تلك التي كانت بعيدة عن المراكز الأمنية، هذا الواقع دفعهم إلى النزوح نحو المناطق الآمنة.

هذه الأوضاع الأمنية التي ضربت البلاد أجبرت هذه الفئة من النازحين المربين على مغادرة مساكنهم والزحف اتجاه المناطق الآمنة، فكانت القرى إحدى الملاذ الذي قصده النازحون بعدما تم تحويلها إلى نقاط أمنية جديدة، حطت بها قوات الجيش إلى جانب الحرس البلدي، وفيما بعد تم تسليح سكان القرى، فهذا المجال الجديد قد فرض على مربّي المواشي النازحين إعادة النظر في طريقة إدارتهم للنشاط الرعوي، فهم ليس لديهم ملكية أراضٍ بهذه القرى، فكل أراضيهم تقع بعيدة عن مقرهم الحالي، فقد وجدوا صعوبة في الحصول على قطعة أرض لبناء مسكن وحظيرة لمواشيهم، هكذا اصطدموا بواقع جديد يحتم عليهم التعامل مع هذا المجال الجديد بما يحمل من تحديات كانوا غير متأهبين ومستعدين للدخول فيها، وبالتالي مرغمون على التعامل معه، فكيف سيتعاملون مع ضغوطات واکراهات هذا المجال الجديد؟.

فهذه الضغوطات والقيود التي يفرضها المجال الجديد ستدفع هذه الفئة -مربّي المواشي النازحين- إلى إيجاد مخرجات جديدة إذا ما أرادوا أن يواصلوا في ممارستهم للنشاط الرعوي، مما يستدعي منهم البحث عن أدوات وأساليب جديدة من أجل التكيف مع المرحلة وتداعياتها.

تحاول هذه الدراسة أن تقدم صورة عن الوضعية التي يعيشها "مربّي المواشي النازحين" نحو القرية، وتسعى إلى تسليط الضوء على تداعيات العشرية السوداء على هذه الفئة، فهؤلاء يعتبرون من الفاعلين الرئيسيين داخل النشاط الرعوي، فهم ذوي خبرة طويلة في المجال الرعوي لها امتداداتها التاريخية في المنطقة، ولهم الفضل الكبير في الحفاظ على الثروة الحيوانية بالمنطقة لكنهم في الوقت الحالي يزرعون تحت ضغوطات وتحديات كبيرة تهدد بتوقفهم عن الاستمرار في ممارسة هذه الحرفة التي ورثوها أباً عن جد، وإن كان الآباء يعتبرون أكثر حرصاً على الاستمرار في ممارسة هذا النشاط فإن أبناءهم اليوم أصبحوا

يفضلون العمل في نشاطات أخرى، كل هذه الأمور تساهم بطريقة أو بأخرى في تعميق هامشية هذا النشاط، هذا ما يجعلنا نتساءل عن مستقبل النشاط الرعوي بالمنطقة.

اعتمدنا على المنهج الكيفي في هذه الدراسة الميدانية من أجل الوصول إلى تحليل وفهم أعمق لهذه الفئة من النازحين المربين، وقد استعملنا تقنية الملاحظة والملاحظة بالمشاركة من أجل الحصول على معلومات وتفاصيل أكثر حول الموضوع، علما أن أحد الباحثين مقيم بهذه المنطقة منذ أكثر من سبع سنوات، هذا الأمر الذي مكنه من تكوين علاقات شخصية التي استطاع من خلالها جمع المعلومات، وقد قام بزيارة الأماكن المهجورة بالمنطقة خاصة مركز قرية أولاد سيدي أحمد القديم، شاهد عن كثب بقايا السكنات المهجورة المهدمة، ولأنه يقطن بمنطقة الدراسة فهو في احتكاك مباشر ويومي بالمبحوثين، الأمر الذي سهل عليه المشاركة في الكثير من الأعمال الرعوية مثل: الرعي، حيث كان يتنقل مع الرعاة إلى حقول الرعي، وكان يستمع إلى أحاديثهم حول الرعي، كما أنه شاركهم بعض الأعمال الرعوية الداخلية بالحظيرة مثل: تنظيف الحظيرة من مخلفات الماشية، تقديم العلف...، بالإضافة إلى ذلك حظي بالدخول إلى مساكنهم، زار مساكنهم المهجورة، ويمكن أن نقول أن من مزايا الباحث المقيم بمنطقة الدراسة أن لديه اطلاع مسبق بالكثير من المعلومات حول الظاهرة تساعده على بناء الموضوع.

وفي الأخير يجب أن نشير إلى أن الباحثين لم يتمكنوا من الحصول على الإحصائيات الرسمية من قبل المؤسسات الرسمية المعنية الأمر الذي جعلهما يركزان في المعطيات والمعلومات على أقوال وروايات القاطنين بالقرية.

❖ **مربو المواشي النازحون:** يجدر بنا أن نشير إلى أنه لا يسعنا الخوض في كل الخيارات التي فرضتها العشرية السوداء على مربي المواشي في المنطقة، ولذا حاولنا التركيز فقط على فئة مربي المواشي الذين اختاروا النزوح والاستقرار في مكان النزوح، أي الذين استقروا بشكل خاص في القرية. وتركزت دراستنا على قرية أولاد سيدي أحمد. قرية أولاد سيدي أحمد هي قرية تابعة لبلدية تيدة دائرة واد ليلى، وهي أكبر قرية تابعة للبلدية، تتوفر على مدرسة ابتدائية، وقاعة علاج، وفرع بلدي، علما أن مركز القرية ليس هو مكانها الحالي، فتسمية أولاد سيدي أحمد كانت تطلق في الأساس على السكان المحيطين أو الموجودون

بالقرب من قبة الولي الصالح سيدي أحمد، وهي تبعد عن القرية الحالية حوالي 3 كلم، وهي تقع وسط الجبال، وكانت منطقة تعج بالسكان، أما اليوم فهي مكان مهجور بالكامل، فمنهم من رحل إلى مناطق بعيدة مثل وهران وغيليزان ومستغانم...، ومنهم من رحل إلى المناطق المجاورة مثل تيارت ومغيلة...، ومنهم من رحل إلى هذه القرية الجديدة، والتي أصبحت اليوم تمثل مركز قرية أولاد سيدي أحمد، هذه القرية الحالية التي لم يكن يقطن بها إلا عدد قليل من السكان قبل العشرية السوداء، أما اليوم فهي تعد أكبر تجمع سكاني بعد عاصمة البلدية تيدة. أما تشكيلتها الديمغرافية تتكون من سكان أصليين ونازحين، أما السكان الأصليين فهم مقيمون بها قبل العشرية السوداء، على أساس أن أراضيهم تقع هنا بهذا الموطن، وهم الفئة التي لم تتأثر كثيرا بالعشرية، أما النازحين فقد أتوا إليها أثناء العشرية السوداء، منهم من جاء من قرية أولاد سيدي أحمد القديمة، ومنهم من النازحين من الأماكن المجاورة مثل بلدية الملعب ومنطقة تويالة...، يعتمد سكانها على النشاط الزراعي والرعي من الناحية الاقتصادية.

هؤلاء المربين النازحون في الأصل هم فلاحين كانوا يقطنون في الوسط الريفي، وأغلبهم كانوا يعيشون في المناطق الجبلية حيث أن دائرة وادليلي تتميز بتضاريسها الجبلية يزاولون نشاطهم الزراعي والرعي في هذا المجال الريفي، و أكد حمداوي (1999) أنه "في الوسط الريفي التقليدي، نجد الدار مبنية سواء وسط الملكية الزراعية العائلية أو على مقربة منها أو القرية ضمن التجمعات السكنية." و في نفس السياق بيّن علي (1981) أن هؤلاء كانوا يسكنون قبل العشرية السوداء وسط الملكية الزراعية العقارية التابعة لهم، وكل منهم كان لديه حظيرة أو زريبة بجوار المنزل، يقوم فيها بتربية الماشية مثل الأغنام والماعز والأبقار والخيول، وهذه الفئة كانت تسكن بما يشبه المزرعة المنفردة، "وفي هذا الشكل من أشكال الاستيطان يبني المزارع منزله على أرض مزرعته نفسها ويكون حول المنزل عادة أية منشآت أخرى يحتاج إليها كالمخازن والحظائر وعدد قليل من بيوت العمال المساعدين، وينتشر هذا الشكل من أشكال الاستيطان بنوع خاص في البلاد التي تكون مساحات الملكية الزراعية بها كبيرة. مثل بعض بلاد أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية. وهذا الشكل أقرب ما يكون لما يعرف في ريفنا العربي بالعزبة أو الضيعة حيث نجد بها منزل المالك ومنشآت المزرعة ومنازل العمال مقامة على أرض المالك نفسه.

وبسبب الأزمة الأمنية في العشيرة السوداء اضطروا إلى مغادرة مناطقهم الأصلية والنزوح نحو المناطق الآمنة، تاركين وراءهم مساكنهم وأراضيهم الزراعية، ومنهم من اصطحب ماشيته معه باعتبارها رأسمال متحرك، وهناك من اضطر إلى بيع القطيع بالكامل، ومنهم من تركوها لوحدها في ذلك المسكن الأصلي بدون حراسة ليلية ويؤتون إليها في النهار من أجل الاهتمام بها، وعند اقتراب غروب الشمس يعودون إلى سكناتهم في القرية، ولكن هذا الأمر لم يدم طويلاً بسبب تعرض بعضهم لسرقة ونهب مواشيهم من قبل الجماعات الإرهابية، وهناك من تخلى عن جزء من القطيع بعد إقامتهم في هذه القرية، فالفضاء الجديد فرض عليهم عدة قيود وضغوطات، الأمر الذي جعلهم يتعاطون مع هذا النشاط بطريقة وأسلوب مختلف عما كان سائد في وقت سابق.

❖ **بداية النزوح:** اضطرت هذه الفئة إلى النزوح هروباً من الاعتداءات الإرهابية، فالعمليات الإرهابية قد ارتفعت وتيرتها في النصف الثاني من التسعينات، حيث وقعت الكثير من المجازر الجماعية للسكان في الوطن، و في هذا الإطار أشار يوزناشة (2006) إلى أنه "من بين أهم الأحداث الأمنية التي جرت بالبلدية (واد ليلي) مجزرة دوار الزوادية التي وقعت شهر أكتوبر 1997، بلغ عدد ضحاياها 27 شخصاً"، هذا و أقرّ تومي (2018) أنّ هذه الأحداث المروعة خلقت حالة من الرعب الشديد خاصة لدى السكان المقيمين في المناطق غير آمنة، "لقد مثلت الأرياف والقرى والجبّال وبعض المدن الصغيرة النائية ملجأ ومأوى للمسلحين الذين خرجوا ضد نظام الحكم بعد إلغاء نتائج الانتخابات التشريعية في جانفي 1992، مما جعلها تفقد أمنها واستقرارها وأصبحت مسرحاً للصراعات والمعارك اليومية، الأمر الذي حمل الكثير من القاطنين بها إلى مغادرتها نحو ملاذات آمنة وهي في الغالب المدن الكبرى التي تتمتع بالحماية والأمن".

فهذه الأوضاع الأمنية الخطيرة دفعت السكان إلى الهجرة الداخلية، فتعددت اتجاهات النزوح، فمنهم من توجه إلى المدن، ومنهم من توجه نحو القرى الموجودة بها نقاط أمنية، فالنازحون الذين كانوا يمتنون تربية المواشي وجدوا أنفسهم أمام ظروف وشروط جديدة أربكت حياتهم ومعيشتهم، علماً أنهم قبل العشيرة السوداء كانوا ينعمون بحالة من الاستقرار والاستقلالية، يحظون بمكانة اجتماعية متميزة ومرموقة داخل المجتمع المحلي، فهم يحوزون

على ملكية أراض شاسعة، ويتمتعون بفضاء ومجال واسع، لكن الأوضاع تغيرت مع بداية العشرية السوداء.

❖ **تداعيات الإقامة في مكان النزوح:** قد استقر هؤلاء النازحون المربون في مكان النزوح أثناء العشرية السوداء، ولأزال البعض منهم متواجدون به لحد الساعة، حتى بعد استتباب الأمن وعودة الاستقرار لم يرجعوا إلى مواطنهم الأصلية، وقد فضلوا الاستقرار في مكان النزوح، فأغلبيتهم لا يملكون أي قطعة أرض بهذه القرى، علما أن مناطقهم الأصلية أغلبها لحد الساعة أصبحت مهجورة، حتى سكناتهم الأصلية أغلبها قد تهدمت لأنها كانت مبنية بالطين والحجر، أما أعمدة الكهرباء فقد تم تخريبها في فترة الإرهاب، وبقيت بدون تصليح خاصة بعد مغادرة كل السكان في تلك المنطقة، وقد رفضوا العودة إلى مناطقهم الأصلية بسبب النقائص التي أشرنا إليها آنفا، بالإضافة إلى وجود أسباب أخرى جعلتهم يتمسكون بإقامتهم الجديدة رغم ما يحمله المجال الجديد من صعوبات عليهم، ففي القرية توجد مدرسة ابتدائية قريبة من مساكنهم الحالية، فلا يحتاج الأولاد إلى قطع مسافات طويلة قبل الوصول إليها كما في العهد السابق، كما يتوفر لديهم النقل، فالطريق وطني يمر عبر القرية، وتوجد قاعة علاج، دكاكين...، ورغم وجود امتيازات يحملها هذا المجال الجديد إلا أن هذه الفئة اصطدمت بعدة مشاكل وتتمثل فيما يلي:

(1) **أزمة السكن:** يرى مهي (1995) أنه "ولما كان المسكن من الحاجات الأساسية للفرد فإن توفره بشكل مناسب من أهم عناصر المستوى المعيشي، والتكوين المرفولوجي للقرية، وتؤثر هندسة بناء المساكن ونوع مواد البناء واتساع الحجرات أو ضيقها وحالة التهوية وغير ذلك، تأثيرا واضحا في نوع العلاقات الاجتماعية التي يمكن قيامها بين سكان القرية الواحدة، فالمسكن يمثل بالنسبة للفلاح تاريخا طويلا وتقاليد معمرة وعادات متمكنة (مهي، 1995، صفحة 61)"، فاستقرار هذه الفئة بالقرية جاء نتيجة للأزمة الأمنية ولم تكن خيارا أرادته هؤلاء، فقد أجبروا على الرحيل من مناطقهم الأصلية لأنها لم تعد آمنة، علما أن أغلبهم ليس لديهم قطعة أرض بهذه القرية الجديدة، كما أنه لم يوفق أغلبهم في شراء قطعة أرض بها.

وضح عماد (2016) أنّ الدولة قررت في تلك المرحلة توفير سكنات لهؤلاء النازحين، فقامت ببناء سكنات استعجالية لاستيعابهم، وهي مساكن ذات مساحة ضيقة تم بناؤها على أساس أنها ملجأ مؤقت، وبعد عودة الأمن والاستقرار سيعيدونهم إلى مناطقهم الأصلية، وتم بناؤها على أراض ترجع ملكيتها لخواص، "كثيرا ما يعتقد معظم الأشخاص الذين يفرون من منازلهم أن النزوح إجراء مؤقت، وهم يأملون في العودة إليها في اقرب وقت ممكن. وقد يسعون إلى البحث عن مأوى لدى عائلاتهم أو أصدقائهم في المجتمعات المجاورة وللتقليل من آثار تعطل نسق حياتهم العادية إلى أدنى حد." لكن السنوات التي قضوها في ظل العشرية السوداء في القرية جعلتهم يغيرون رؤيتهم في مسألة العودة، وأصروا على البقاء والإقامة في هذه القرية الجديدة رغم الصعوبات التي عاشوها، هذا القرار بالإقامة سيدخلهم في مشاكل مع أصحاب الأرض، فاليوم أصحاب الأرض يطالبون باسترجاع أملاكهم العقارية بعدما سكنتها عنها في وقت سابق بسبب الأوضاع الأمنية، فهم يقولون أنهم لم يتنازلوا عن ملكيتهم لها بل منحوهم إياها فقط مؤقتا زمن العشرية السوداء، علما أنه لا توجد وثائق تثبت إجراءات تنازلهم عنها، وهذا الذي خلق حالة من الصراع بين أصحاب الأرض من جهة والنازحين من جهة أخرى، ففي البداية تم منع النازحين من توسيع البناء خارج المساحة الممنوحة لهم سابقا، فلم يعد بوسع النازحين التفكير في ترميم أو إعادة بناء المسكن بما يتلاءم مع متطلبات العصر خوفا من خروج حكم قضائي يقضي بطردهم في أي لحظة، وهناك حالات قليلة من النازحين من استطاعوا شراء قطعة أرض، استطاعوا بناء عليها مسكنهم الخاص لكنها لا تتسع لبناء حظيرة معها، مما يعني أن الأولوية أصبحت للسكن، ويكون تغيير المهنة أو النشاط أحد الحلول.

(2) **مشكل بناء الحظيرة:** شكل بناء الحظيرة التحدي الكبير لهؤلاء النازحين المربين، فهم بحاجة إلى توفير دخل مادي لإعالة أسرهم، فهم اليوم يعيشون بعيدا عن مناطقهم السابقة، وأمام غياب فرص أخرى لتغيير النمط الاقتصادي اختاروا الاستمرار في تربية المواشي، فهم قد اصطحبوا مواشيهم معهم أثناء رحيلهم، فقاموا ببناء حظيرة للمواشي داخل المسكن أو بجواره، حيث استولى البعض منهم على المساحة الأمامية للمسكن، فالأوضاع الأمنية في تلك المرحلة لم تتح لأصحاب الأرض إعلان احتجاجهم على ما يقع من انتهاك للملكية العقارية الخاصة بهم من قبل هؤلاء النازحين، حتى أصحاب الأرض وكل الساكنين

بالقرية كانوا يرحبون بالنازحين، فوجود عدد كبير من السكان يساهم في حماية الجميع. هذا الوضع الذي استغله المربون النازحون في تجاوز تلك الفترة من أجل الاستمرار في ممارسة نشاطهم الرعوي، لكن الحظيرة التي بنوها لم تكن بمستوى استيعاب قطعانهم من المواشي، هذا ما دفع هؤلاء المربين إلى التخلص من جزء صغير أو كبير من القطيع السابق، والاقتصار على عدد يتوافق مع الوضعية الراهنة، وهذا ما جعل حدود المشروع الرعوي تتوقف عند سقف محدد لا يمكن تجاوزه، فلا يستطيع تربية أكثر من 30 رأس غنم في أحسن الأحوال، كما أنهم وقعوا في مشكل رمي مخلفات الماشية، فهم بحاجة إلى تنظيف الحظيرة بشكل يومي، وهذا ما شكل خطورة على صحة الحيوان وصحة الإنسان.

(3) **حقول الرعي البعيدة:** تقع معظم أراضي هؤلاء المربين النازحين في مناطقهم الأصلية التي رحلوا عنها، هذه الأراضي التي كانت تستغل في الرعي والزراعة، واليوم هم بحاجة إلى قطع مسافات طويلة قبل الوصول إليها، حيث يتوجهون كل صباح بأغنامهم نحو تلك المراعي البعيدة، وكانت الأوضاع الأمنية في تلك المرحلة تجبرهم على العودة في وقت مبكر، هذا الأمر الذي جعلهم يكيّفون رزنامة رعي بما يتوافق مع التحديات الأمنية، وقد تفرض عليهم بعض الفترات حبس القطيع داخل الحظيرة لمدة طويلة، وهذا يعني تعويض المراعي باستهلاك المخزون الغذائي الحيواني، علما أن هذا المخزون كان يدخر في الأصل للفترات التي يتناقص فيها الكأ والعشب في الحقول خاصة في فصلي الشتاء والخريف، أو يدخر تحسبا لفترات الجفاف، فهم لديهم خبرة طويلة في التعامل مع تقلبات الطبيعة، هذا الاستهلاك المبكر للأعلاف المستودعة يؤدي إلى زيادة في تكبد المزيد من التكاليف والمصاريف، هذه الأوضاع التي كان يعيشها هؤلاء المربين أثرت على تطور الثروة الحيوانية بالمنطقة، بل هناك من تولى عن هذه النشاط بسبب هذه الصعوبات.

❖ **المربون النازحون والمجال الجديد:** شكلت العشرية السوداء منعطفا مهما في مسيرة النشاط الرعوي بالمنطقة، فهي بالدرجة الأولى مست المورد البشري، والذي يعتبر من العناصر الأساسية في أي مشروع، فالأزمة الأمنية أجبرت هذه الفئة على النزوح وترك مناطقهم الأصلية، ففي الوقت الراهن فإنهم يعيشون في مجال جديد سلبهم كل الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها

في وقت سابق، ضاعت مكانتهم الاجتماعية، تفككت عوائلهم، أصبحوا غرباء، فقدوا فضاءهم الواسع...، هذا التواجد بهذه القرية المجال الجديد افرز أشكال جديدة في التنظيم الرعوي، ويمكن الإشارة إليها في العناصر التالية:

1) تفكيك العلاقة الجوارية بين الحظيرة والمنزل: الفلاح بصفة عامة يحب أن تكون الحظيرة بجوار المنزل، و بيّن السويدي (1990) "الفلاح يشعر بأن حياته ووجوده مرتبطان (بماله) أي بثروته الحيوانية، ولهذا فهو لا يريد أن تكون بعيدة عنه"، فكانت الحظيرة دائما موجودة بالقرب منه. فجزء من هذه الفئة اضطر إلى فك العلاقة الجوارية بين المنزل والحظيرة بسبب إقامتهم في مكان النزوح كنتيجة للعشرية السوداء، حيث أولا كان عليهم مغادرة مناطقهم الأصلية، والبحث عن مأوى لها داخل المناطق الآمنة، وبالتالي يصبحون بعيدين عن ممتلكاتهم العقارية. وثانيا كان عليها تأمين دخل مادي للعائلة، فكان الاستمرار في هذا النشاط الرعوي كأحد الخيارات، وهنا اصطدموا بمشكل توفير حظيرة للماشية، فاضطروا إلى بناء حظيرة داخل المسكن أو في الفضاء المحاذي له أثناء العشيرة السوداء، وبعد عودة الأمن والاستقرار كان عليهم البحث عن حلول بديلة، فأصحاب الأرض بدؤوا يطالبون باستعادة أراضيهم التي شيدت عليها سكنات هؤلاء النازحين، وهناك بعض النازحين من قاموا ببناء حظيرة خارج القرية حيث توجد أراضيهم الخاصة أو ترجع إلى أحد أقاربهم، وهي تقع غير بعيدة عن القرية الحالية، ومنهم من حولوا سكناتهم المهجورة إلى حظيرة للماشية، ومنهم من ظل في نفس الوضعية، ومنهم من تخلى عن هذا النشاط نهائيا.

تعتبر ظاهرة إنشاء الحظائر بعيدة عن المنازل من الأشكال التنظيمية الجديدة في ممارسة هذا النشاط في المنطقة، وهذا التفكيك للعلاقة الجوارية سينتج عنه إضافة مهام جديدة ستثقل كاهل المربي، فمثلا أضيفت إلى جدول أعماله مهمة الحراسة، وبالتالي على العائلة أن تعين أحد أفرادها لحراسة الماشية ليلا، كما أن مقر الحظيرة البعيد عن المسكن منع مشاركة كل أفراد الأسرة في أعمال تربية الماشية كالأطفال والنساء على سبيل المثال بسبب مسافة الطريق البعيدة، فأصبحت هنالك صعوبة في الجمع بين

الأعمال المنزلية والرعية في نفس الوقت، وهذا ما شكل زيادة الضغط على أفراد العمل المتبقين، ولأزالوا يمارسون هذا النشاط رغم كل هذه الضغوطات الشديدة، فهل باستطاعتهم مقاومة كل هذه الضغوطات العملية؟

(2) **تغير رؤية الفلاح لمسألة الجوار:** يرى بيار (1979) أنه "ينقسم السكن الريفي والسكن داخل المجال الزراعي إلى نوعين: النوع الأول يمثل السكن الفردي وكثيرا ما يشمل منزلا أو عدد قليلا من المنازل، ويسمى هذا النوع بالسكن المشتت أو المبعثر، والنوع الثاني يشمل التجمعات الابتدائية وهي السكن المتجمع". كان ينتشر في المنطقة السكن المتشتت، فالفلاح بهذه المنطقة كان يرفض الجار المباشر حتى مع أفراد العائلة الواحدة، فهو لا يحبذ به باعتبار أنه مدخل لنشوب النزاعات العائلية والمحلية، ولذا الفلاح كان يفضل بناء مسكنه بعيدا عن الآخرين تقاديا منه لكل المشاكل التي تنجم عن ذلك التقارب السكني، أما بعد العشرية السوداء لم يعد الفلاح يرفض الجوار المباشر، بل أصبح أكثر ترحيبا به، بل نجد الأماكن التي تعرف تجمعات سكانية الأكثر استقطابا للأهالي، حتى أسعار العقار أصبحت بها مرتفعة الثمن مقارنة بالأراضي الزراعية، والسكن المتشتت هو من الأسباب الرئيسية التي كانت وراء التفكك السريع للأرياف في العشرية السوداء في المنطقة، فهي سهلة الاختراق بالنسبة للإرهاب من جهة، والدولة وجدت صعوبة في توفير الأمن لكل هؤلاء السكان المتواجدين بشكل مشتت من جهة أخرى، فقررت تم حشدتهم في نقاط معينة من أجل حمايتهم، هذه التجربة رسخت البعد الأمني لدى الفلاح، وأدرك من خلالها أهمية الجوار.

(3) **تراجع مكانة مربّي المواشي النازحون:** هؤلاء النازحون المربون كان أغلبهم ينتمي إلى طبقة كبار الفلاحين، الذين كانوا يحوزون على ملكية أراضي شاسعة، ويمتلكون قطيعاً كبيراً من الماشية، لكن بعد العشرية السوداء تحولوا إلى فلاحين من طبقة صغار الفلاحين، ويرجع سبب ذلك إلى استقرارهم في أماكن بعيدة عن أراضيهم، فسكنوا في منازل ضيقة مقارنة مع مساكنهم السابقة ذات الفضاء الواسع، فقد أجبرهم المجال الجديد للاستثمار في هذا النشاط تحت سقف معين، كما اضطروا إلى التخلي عن تربية بعض أنواع الماشية مثل البقر والخيول،

واقترضوا بشكل خاص على تربية الأغنام والماعز، كل هذه القيود منعتهم من الاستثمار بنفس الرأسمال السابق، وهكذا تحولوا إلى الطبقة المتوسطة أو إلى فقراء، وفقدوا مكانتهم السابقة في هذا المجال الجديد.

4) تحديات أولاد مربو المواشي النازحين: شكل استقرار المربين النازحين بهذه المناطق القرية مشكلة بالنسبة لمستقبل الأولاد، ففي البداية اصطدموا بمشكل بناء المسكن والحظيرة، وقد بنت لهم الدولة مساكن، وهي مساكن ضيقة يصعب عليها تحمل عائلة مكونة من عدة أفراد، وما يواجهه الأبناء في الوقت الراهن أنهم لا يستطيعون إنشاء أسر داخل هذا المسكن الضيق، خاصة مع صعوبة الظفر بشراء قطعة أرض بهذه القرية أو بالقرب منها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى مشكلة العمل، فانه من الصعب عليهم الاستمرار في ممارسة هذا النشاط الرعوي ماعدا أولئك الذين جعلوا الحظيرة بعيدة عن المنزل، أما الحظيرة الموجودة بالقرب من المسكن فهي لا تتحمل الزيادة في عدد رؤوس الأغنام، وبالتالي كمشروع اقتصادي غير كافي لإعالة كل أفراد العائلة الكبيرة، أما الذين قاموا بإنشاء حظيرة بعيدة عن المنزل فانه بإمكانهم مضاعفة الرأسمال لكنهم يعانون من مشكل نقص العنصر البشري، هذا النقص لليد العاملة يرهق أفراد العمل خاصة لما تكون الأسرة مكونة من عدد قليل من الذكور، ومما يزيد الضغط أيضا هو أن هذا النشاط لم يفتح على اليد العاملة من خارج العائلة، هذا الجيل من الأبناء أصبح يعزف عن العمل في هذا النشاط، وبات البحث عن وظيفة في القطاع العام أو الخاص أكبر أولوياته، بل حتى الآباء أصبحوا يدعمون أبناءهم ويشجعونهم على الانتقال إلى مهن أخرى. هذه الظروف تركت أبناء هذه الفئة يتوجهون نحو نشاطات أخرى من أجل تأمين مستقبلهم، وهذا ما يعني أن المورد البشري والخبرة تتجه تدريجيا نحو الزوال في هذا النشاط.

❖ **نتائج الدراسة :** عرفت واد ليلى هجرة واسعة للسكان أثناء العشرية السوداء، ورغم استتباب الأمن والاستقرار بعد إقرار قانون المصالحة الوطنية، إلا أننا لم نشهد عودة قوية للنازحين والمهاجرين لمناطقهم الأصلية في المنطقة، فقد فضل مربو المواشي النازحين في منطقة الدراسة الاستقرار في مكان النزوح رغم ما يمثله هذا الفضاء الجديد من ضغوطات وقيود على مسيرتهم، فكانوا مطالبين حينئذ بالبحث والتفتيش عن مخرجات جديدة من أجل تجاوز هذه الاكراهات والقيود، هذا التحدي للظروف من قبل هذه الفئة أنتج ظواهر وأشكال

جديدة في تنظيم هذا النشاط مثل تفكيك الجوار بين الحظيرة والمنزل، وجود حظائر متجاورة، تعاون بين مربين من عوائل مختلفة....

فقد ساهم وجود حظائر متجاورة في تشكيل نوع من التعاون بين المربين، وهم يتعاونون فيما بينهم في أعمال ثانوية مثل الحراسة المؤقتة، إحضار وجبات الفطور والعشاء، فينوب أحدهم عن الآخرين من أجل أداء هذه المهمة (إحضار الغذاء)، علما أن أصحاب الحظائر المتجاورة يسكنون في قرية واحدة، كما أن تواجد حظائر متجاورة يمثل حماية لهم جميعا من التعرض للسرقة، حيث من الصعب اقتحام حظائر مشتركة يوجد به أكثر من مربى، علما أن كل مربى معني بحراسة قطيعه بنفسه، فلم تصل عملية التعاون إلى درجة تعيين شخص معين أو حصول نوع من التناوب فيما بينهم، أي الاكتفاء بعنصر واحد من بينهم للقيام بدور الحراسة للحظائر، هذا التشارك في نفس الفضاء لم يكن مقبولا في وقت سابق في ذهنية الفلاح بصفة عامة، لكن الظروف الأمنية التي مروا بها تركتهم يعيدون النظر في هذه الرؤية، وقد حدث نوع من التعاون فيما بينهم لكن ظل على المستوى الثانوي، فكل مربى يقوم بالاعتناء بقطيعه بنفسه.

يعني المشروع الرعوي بقي خاضعا للإشراف والتنفيذ العائلي، ورغم ظروف العمل الصعبة إلا أن اليد العاملة الأجنبية (خارج العائلة) لم تتسلل إليه، فالمربي النازح الذي أنشأ الحظيرة بعيدة عن المسكن استطاع تهريب المشروع الرعوي حتى يتمكن من الاستمرار في ممارسته، لكن هذا التهريب خلق ضغطا كبيرا على رزنامة عمل الأفراد، فهم عليهم أن يقوموا بكل الأدوار: الرعي، تقديم الأعلاف، الحراسة، التسوق....، بالإضافة إلى الالتزامات العائلية، وهي أعمال تستهلك الكثير من الوقت والجهد، فهل هؤلاء الأفراد باستطاعتهم تحمل أعباء ممارسة هذا النشاط مع غياب جزء من العائلة؟ هل سنشهد بداية الاستعانة باليد العاملة الأجنبية أي من خارج أفراد العائلة؟ علما أن هناك من المربين النازحين من تخطى عن تربية المواشي بسبب ضغوطات العمل، ولكنه في نفس الوقت رفض الانفتاح على اليد العاملة من خارج أفراد العائلة، وذلك بسبب غياب عنصر الثقة، فلا يمكنه أن يثق في إنسان غريب عن عائلته، وكيف يمكنه الوثوق به؟

ظل المربي مرتبط بالثقة المشخصة التي تبلغ أوجها في السياق العائلي ورابطة الدم، فلم تتوجه نحو الكتابة أو التوثيق كعنصر ثقة غير مشخص (عقود)، أي الانفتاح على التنظيم الرسمي، كطريق نحو الاستمرار في ممارسة هذا النشاط.

هناك نقطة لابد أن نشير إليها فيما يتعلق باليد العاملة من خارج العائلة، فإن هناك من يقومون باستئجار رعاة وهم يمثلون يد عاملة أجنبية عن العائلة، فهذا الإجراء من الأمور السائدة في الماضي لكنها لم يشكل تهديدا لنمط التنظيم التقليدي. أما المربين النازحين الذين لديهم حظيرة داخل المسكن أو بجواره فإنهم يتجهون إلى التخلي عن هذا النشاط خاصة جيل الأبناء، فليس لديهم مسكن يستقرون به ولا حظيرة يمكنهم انجاز المشروع فيها، وهم في الوقت الراهن يبحثون عن الاندماج في نشاطات أخرى. هل بروز هذه الأشكال التنظيمية الجديدة تمثل مؤشر على بداية للتفكير في الفصل بين النشاط الاقتصادي والعائلة؟ فهل نحن أمام مخاض يتولد عنه علاقات وروابط جديدة تغتلب من هيمنة البنى التقليدية على هذا النشاط؟

❖ **خاتمة:** هؤلاء النازحون المربون هم في الأصل فلاحون يحوزون على أراضي واسعة، ولهم خبرة طويلة وعريقة في هذا النشاط، والحالة التي يتواجدون فيها اليوم هي نتيجة لمخلفات وتدايعات العشرية السوداء، ورغم كل الظروف القاسية التي مروا بها إلا أنهم استمروا في ممارستهم لهذا لنشاط، والفضل يعود لهاته الفئة في المحافظة على هذه الثروة الحيوانية بمنطقة وادليلي، علما أن هناك من تخلوا عن ممارسة هذا النشاط وانتقلوا إلى نشاطات أخرى بسبب الظروف الصعبة، ونحن نخشى أن تتواصل موجة العزوف عن ممارسة هذا النشاط، وهذا ما يعتبر تهديدا لمستقبل هذا النشاط الرعوي في المنطقة، وهذا الأمر الذي يجعل الدولة والسلطات المعنية بحاجة إلى الالتفات إلى هذه الفئة، وقد تحتاج إلى إعادة النظر في مقاربتها للنشاط الرعوي بصفة عامة وفي منطقة وادليلي بشكل خاص، فالدولة التي رحلتهم في العشرية السوداء تركتهم يواجهون مصيرهم لوحدهم، وهم قد تجاوزوا المرحلة بوسائلهم الخاصة بعيدا عن أي دعم أو مساندة.

كما علينا أن نشير إلى أن هذه الفئة فتحت أبوابا جديدة في أساليب التنظيم في هذا النشاط، ربما يحسن الالتفات إليها، والتريث في طريقة إدارة هذه التجربة، بمعنى هل الأولوية

ستكون في إقناع عودة هؤلاء إلى مناطقهم الأصلية؟ أم تكون الأولوية في إيجاد الأجواء الملائمة والمناسبة لتبلور هذه الأشكال التنظيمية الجديدة؟

رغم كل ما خلقته هذه الأزمة الأمنية من صعوبات في مسار النشاط الرعوي بالمنطقة إلا أنها يمكن أن تتحول إلى فرصة لإعادة إصلاح هذا النشاط وفق آليات وأساليب حديثة مبنية على أسس علمية، وبذلك تصبح المناطق المهجورة بمثابة صفحة بيضاء يمكن إعادة صياغتها وفق خطط واستراتيجيات مدروسة ومؤسسة تساهم في تطوير هذا النشاط بالمنطقة.

من الأمور التي تقترح أو يوصى بها كخلاصة لهذه الدراسة الميدانية ما يلي:

- ✓ تكثيف الدراسات السوسولوجية والانثربولوجية حول النشاط الرعوي.
- ✓ الاهتمام والالتفات إلى هذه الفئة من النازحين المربين التي تضرروا من العشرية السوداء، فهم فاعل مهم بإمكانه لعب دور كبير في الحياة الاقتصادية للبلاد.
- ✓ تدخل الدولة عبر مؤسساتها لتوعية المربين بأهمية الانفتاح على الأساليب الحديثة في الإنتاج الرعوي.
- ✓ إعطاء دور للسوسولوجيا في الحقل الفلاحي، فنجد المختص السوسولوجي غائبا على مستوى خلية الإرشاد والتوجيه في القطاع الفلاحي.

❖ قائمة المراجع:

1. أسماء، بوعنان وزينب، خلافة (حوان 2022). تجليات قيم المواطنة في سينما العشرية السوداء قراءة تحليلية نقدية لفيلم "المحنة". مجلة آفاق سينمائية. 9 (1)، ص 276-297.
2. بيار، جورج (1979). السكان والاستيطان ترجمة (الأستاذ حيلالي صالي). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
3. توفيق بوزناشة (2006). دليل الجمهورية. الشارقة الجزائر: دار الحقائق .
4. تومي حسين (2018). النمو السكاني واثره في نشأة المدن وتطورها في العالم دراسة نموذج الجزائر للفترة الزمنية (1962-2018). اطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الديموغرافيا. جامعة ابوالقاسم سعد الله الجزائر، الجزائر.
5. عماد مطير، الشمري (2016). نزوح السكان دراسة تفصيلية شاملة. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
6. على فؤاد، احمد (1981). علم اجتماع الريفي. بيروت لبنان: دار النهضة العربية.
7. محمد، السويدي (1990). مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري. الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.
8. محمد، حمداوي. (1999). المجال السكني العائلي في الوسط الريفي التقليدي: الدار والقروية لدى بني سنوس. مجلة انسانيات ج3، ع7، ص25-35.
9. مهى سهيل، المقدم (1995). المجتمع القروي بين التقليدية والتحديث. بيروت لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
10. نيراس طه، خماس و سميره حسن، عطية. (2017). ظاهرة النزوح في العراق دراسة ميدانية لمشكلات نازحي محافظة نينوى إلى محافظة ميسان أنموذجا للعام 2016. مجلة ابحاث البصرة للعلوم الانسانية، ع5، ج42، ص(42-69).